قطوف وخواطر

الصفحة السادسة: أرقام الخواطر من 51 إلى 60.

بسم الله الرحمن الرحيم

51- الطواغيت يضحكون من المشايخ ..!

كأني بطواغيت الحكم يضحكون من المشايخ ويسخرون منهم .. والمشايخ في غمرات الجدال والخصام والخلاف على كفرهم ومروقهم من الدين ..!!

كأني بهم يقولون لبعضهم البعض: انظروا لهؤلاء الشيوخ المغفلين .. كل هذا الكفر البواح الذي نحن عليه .. والذي فيه متلبسون .. فهم لا يرونه .. ولو رأوه فإنهم يحملونه على الكفر الأصغر؛ كفر دون كفر .. حقاً إنهم مغفلون وبسطاء .. وبساطتهم تستدعي أن ننظر إليهم بعين العطف والشفقة، والإحسان ..!!

بدَّلنا شرع الله .. حاربنا دين الله .. شرَّعنا مع الله .. والينا أعداء الله .. نشرنا الرذيلة والفساد في البلاد وبين العباد .. وعلى مدار الساعة .. مكنا اليهود في بلاد المسلمين .. ومع ذلك فهم يحملون علينا مقولة ابن عباس: كفر دون كفر .. حقاً إنهم مغفلون وبسطاء إلى حدٍّ يستدعي السخرية منهم، والاستخفاف بهم .. إلى الثمالة والقهقهة!!

أحدنا أكفر من فرعون، ومن أبي جهل، وأبي لهب الذي نزل فيه تبت يدا أبي لهب وتب .. ومع ذلك فهم يجادلون عنا .. يخاصمون المخالفين لأجلنا .. يوالون ويعادون فينا .. فرقوا صفوف المسلمين إلى فرق متنافرة متناحرة لأجلنا نحن طواغيت الحكم .. حقاً إنهم مغفلون .. لكن يجب أن نرعاهم ونقربهم لأنهم يدافعون عنا .. ويصبغون الشرعية علينا وعلى أنظمتنا وحكمنا .. ويُقنعون الناس بنا وبوجوب طاعتنا!

وهذا عمل هام بالنسبة لنا لا يمكن القيام به من دونهم .. لذلك نحن نقربهم وندنيهم، ونغدق عليهم بالعطاء ..!!

* * *

52- القافلة تسير والكلاب تنبح ..!

يُضرب هذا المثل .. عندما قوافل الجهاد والاستشهاد تمضي للجهاد في سبيل الله .. والمثبطون المرجفون ينادونهم من جنبات الطريق أن إلينا .. يشككونهم بشرعية وجدوى جهادهم .. فيقال لهم حينئذٍ: القافلة تسير والكلاب تنبح ..!

عندما تمضي قوافل الشهداء إلى ربهم بنفس راضية مرضية .. ثم يأتي المثبطون من حولهم يقولون: لو بقوا هؤلاء عندنا لما قتلوا .. لو أصغوا إلينا وإلى نصائحنا لما قتلوا .. ويتموا أطفالهم .. ورملوا نساءهم .. فيقال حينئذٍ: قافلة الحق تسير .. وكلاب الباطل والإرجاف تنبح !

عندما يمضي الحق إلى غاياته بثبات ويقين .. ومن دون أن يعير الباطل التفاتةً أو نظرة .. ثم تأتي قوافل النفاق والإرجاف لتنبح وتشكك في الحق وغاياته .. وتنفر الناس عنه .. فيقال حينئذٍ: القافلة تسير والكلاب تنبح ..!!

عندما يُحاول أهل الباطل ـ بكل تشعباتهم ومذاهبهم ـ ثني المسلم عن الحق الذي هو عليه .. فيقال: القافلة تسير والكلاب تنبح .. وما أكثر الكلاب التي تنبح في زماننا هذا!

* * *

53- لا تُحمِّل الأمور مالا تحتمل ..!

ما بعد الضيق إلا الفرج .. وما بعد العسر إلا اليسر .. وما من غمٍّ أو هم يدوم ..!

كم من كرب .. نعالجه بغم في القلب .. وهم على الوجه .. وقلق في النفس .. فنزيده اشتعالاً واستفحالاً .. ثم بعد فترة من الزمن يسيرة وإذا به ـ بإذن الله ـ يزول وكأنه لم يكن .. يصبح في عالم النسيان والخيال ..!

يزول .. لكن الذي لا يمكن أن يزول تلك الآثار السلبية ـ التي خلفتها طريقة التعامل مع هذا الكرب ـ على القلب والأعصاب، والنفس، وربما على الآخرين من الناس المحيطين بنا والمعايشين لنا ..!

كثير من الأمور هي أقل من بسيطة .. يمكن أن تعالج على طريقة ما بال أقوامٍ .. وبالتلميح دون

التصريح .. أو بكلمة أو كلمتين .. ترانا نتعامل معها بانفعال، وغضب، وحدة، وتوتر، وغم، وهم، وقلق .. واحمرار في الوجه .. وانتفاخ في العروق .. قد يؤدي إلى جلطات أو سكتات في القلب .. وإرهاق في الأعصاب .. إضافة إلى أجواء النكد التي تعلو المحيط الذي نعايشه، ونختلط به ..!

كثير من الأمور نظنها كبيرة .. ونتعامل معها على أنها قضايا كبيرة .. ثم بعد فترة قصيرة من الزمن تظهر بحجمها الحقيقي الصغير الحقير .. فيقع الندم على الإفراط في الطريقة التي تعاملنا معها وما فرطنا به في جنب العباد .. ولات حين مندم !!

* * *

54- لماذا الانتفاضة فقط ..؟!!

منذ فترة نسمع ـ عبر وسائل الإعلام المختلفة ـ تصريحات لمسؤولين .. ومعلقين .. وسياسيين وغيرهم تقول: الحل لتحصيل الحقوق في فلسطين، وطرد الصهاينة المعتدين يكمن في صمود الانتفاضة .. في دعم انتفاضة الشعب الفلسطيني .. في استمرار الانتفاضة ..!

مواجهة الصهاينة المعتدين .. يجب أن تكون من خلال دعم الانتفاضة .. والوقوف إلى جانب الانتفاضة .. الانتفاضة خيار استراتيجي لا رجعة عنه .. الانتفاضة .. الانتفاضة ..!

أقول: ابتداءً لا أقلل من قدر وأهمية الانتفاضة .. ولا من جهاد الشعب المسلم الفلسطيني هناك .. فهم على ثغرة عظيمة من ثغور الإسلام نسأل الله تعالى لهم الثبات والنصر.

ولكن لماذا الانتفاضة فقط ..؟!!

لماذا أطفال الحجارة فقط ..؟!!

لماذا النساء والشيوخ فقط ..؟!!

لماذا الشعب الفلسطيني الأعزل من كل شيء .. مقابل جيش صهيوني همجي متوحش ـ يقتل الأطفال الرضَّع! ـ مدجج بأحدث الأسلحة الفتاكة .. فقط ..؟!!

لماذا لا يكون الحل ـ إضافة إلى جهاد الانتفاضة ـ تحرير حدود بلاد الطوق من سطوة وهيمنة كلاب الحراسة الأوفياء لليهود أكثر من اليهود لليهود .. لتأخذ

الشعوب العربية والإسلامية دورها المفروض والصحيح، وتتحمل مسؤولياتها الشرعية في تحرير القدس وسائر البلاد من رجس الصهاينة اليهود ..؟!!

لماذا لا يكون الحل ـ إضافة إلى جهاد الانتفاضة ـ تحرير الجيوش العربية على الأقل ـ التي صنعت لحماية عروش الطواغيت ـ لتأخذ طريقها الصحيح في الجهاد إلى جانب الانتفاضة .. وأهل الانتفاضة ؟!

لماذا لا يكون الحل ـ إضافة إلى جهاد الانتفاضة ـ أن يُزاح الغبار عن الترسانة الضخمة للأسلحة المخبأة في مخازن طواغيت العرب .. والتي اشتريت بأموال المسلمين ..!

لماذا هذه الأسلحة ـ التي يتراكم عليها الصدأ والغبار ـ لا تُشهر إلا في وجه الشعوب .. ولقهر الشعوب لإرادة وحكم الطواغيت ..؟!!

لماذا لا تأخذ طريقها ـ بجوار حجر الانتفاضة ـ لتحرير الأرض، وطرد المغتصبين الصهاينة ..؟!

لماذا لا ترتفع الأصوات وبقوة ـ من كل الأطراف والجهات والهيئات المعنية ـ بالمطالبة بذلك .. إضافة إلى دعم الانتفاضة ..؟!!

فعدم حصول ذلك أو شيء منه يجعلنا نجزم أن شعار دعم الانتفاضة الذي يردد في وسائل إعلام الظالمين .. وتلوكه ـ بكل وقاحة وقلة حياء ـ أفواه كثير من المسؤولين .. هو عبارة عن كلمة حق يراد بها باطل .. يُراد بها مص نقمة الشعوب المقهورة وإخماد غضبتهم .. يُراد بها الهروب من المسؤولية الحقيقية .. ومن تحمل تبعات هذه المرحلة الهامة وما تقتضيه من واجبات .. ليقف الطفل الفلسطيني بحجره .. الإنسان الفلسطيني الأعزل من كل شيء .. إلا من إيمانه .. وحيداً فريداً .. أمام مسؤوليات التحرير والجلاء ..!

ألا قاتل اللهُ الطواغيت الظالمين .. كلاب الحراسة الأوفياء!!

*** * ***

55- ابنة المحنة .. تكتب من بلاد المهجر ..!

تركتها طفلة في ديار المهجر .. تسمع إلى أحاديث الكبار .. وهي تلعب .. اليهود قتلوا الأطفال .. انتهكوا

الحرمات .. رملوا النساء .. قتلوا المصلين ركعاً وسجدا .. هدموا البيوت .. شباب الانتفاضة .. أطفال الحجارة الأبطال .. الجهاد في سبيل الله .. لا بد من العودة للديار .. والصلاة بعز في الأقصى الشريف .. الحكام خونة .. عملاء لليهود .. خانوا فلسطين .. خانوا قضيتي .. وديني .. لعنة الله على الظالمين!

وهاهي اليوم ـ بعد أن سمعت أحاديث الكبار .. وقد باعدت بيننا الأزمان والديار ـ تكتب كالأدباء الشرفاء .. الذين يمزجون أدبهم بصدق الكلمة وعفوية التعبير .. الذين لا يعرفون التزلف ولا النفاق .. أو الارتماء على العتبات من أجل الفُتات .. لتعبر عن صدق حنينها إلى أرض فلسطين .. ولتقول لحكام العرب .. وجميع العالَم .. إن نسيتم قضيتي فأنا لم أنسها .. وإن سالمتم المعتدين اليهود فأنا لم أسالمهم .. وإن بعتم الأرض فأنا لا ولن أبيع .. وإن أبيتم القتال .. فسوف أقاتل ـ على ضعفي ـ ولو وحدي .. وأنا على موعدٍ ووعد مع فلسطين .. كل فلسطين .. ووعد الحر دين!

وإليكم كلماتها كما أرسلتها إلي:

هناك .. وعلى الأُفُقِ البعيد ..
يطلُّ ذلك الحُلم الجميل
كشمسٍ بين الربوع
كنجمٍ حَلُمَ الأبطالُ بالوصول إليه
بينهم ذاك الذي جاء ينزف
والدم خضَّبَ ثيابَه
وجهه القاسي .. به يكمنُ الشباب
وعلى ظهره العاري .. ترتسمُ آثارُ السياط
*** * ***
ما زال يمضي نحو الحُلُم وحده
وذلك العزُّ مرتسمٌ على وجهه
والشموخ بادٍ على هامته ..
وبين تلك الدماء المتجمعة كبركة
يسمع ضحكة .. سخرية .. لن تصل .. فالشوط طويل ..
وتلك الشمس شارفت على المغيب!
عبَرَ .. لم يصغِ .. مازال ينزف
يروي الأرض العطشى .. يمحو جدب الأرض
*** * ***

مازال يمضي ويقول .. لن تغيبي!
لقد تعاهدنا .. وعدُ الحر دين ..
تتهامس الأغصان الخبيثة .. يسخر الغرقَد .. يقول
لن تصل .. ستغيب تلك الشمسُ .. لن تصل
*** * ***
يسمع أمواجاً من صراخ
نحن معك .. اقذف بالحجر .. لا تَهُن
نظر إلى الخلف ورأى .. إخوان البطولة
بالمناجل والحجارة .. والصدور العارية
يتقدمون نحوه ..
*** * ***
ترتسمُ ابتسامة عزٍّ وفخار على وجهه الصارم
يقول .. هيا بنا .. الله معنا .. وتلك البقاع الطاهرة لنا
يتقدمون كسيل .. يجرف الحصى الصغيرة
تتضاءل الدبابة .. تتكسر البندقية
ويبقى ذلك الحَجَرُ الأصيل
*** * ***
ما زالوا يهبُّون كعاصفة
تقلبُ الأقداحَ والقدور
تقتلع الخيام ..
يقوم أولئك النيام ..!
ينهضون .. يمضون في ظلام الليل نحو الأفُق
تشدُّ الأرضُ أرجلَهم إليها
تُعطيهم حنان تلك الأم
يتعاهدون على الوفاء والإباء
وتلك الأمُّ الهرمة تعود إلى الشباب
كلهم ينزفون .. لكنهم يمضون
مع كل أذانٍ .. يسجدون
*** * ***
ويَكْبُرُ ذلك الحلم الجميل
.. يرددون
سنصلي هناك .. سنصلي هناك
ترتفع تلك الشمس
تلفَحُ جباههم السمراء .. يُقبِلون
يقطعون الغرقد من حول المَدينة
*** * ***
.. يتوزعون

بالمناجل .. تتضاءل الجيوش
تُداس بالأقدام ..
تقع القبعات السود .. تهرب الغربان
يصعد البطل .. يركز الراية على تلك القبة
تنعقُ الغربان .. يغرد الدوري
تبتسم الشمس .. ترسل الضياء
ويرتفع الأذان من فوق تلك المئذنة
يضجُّ الساحُ بالمصلين
تحاول الغربان أن تبقى .. فتفشل
تهمُّ بالرحيل .. يأتيها الحجر فتُقتل
ويُسمع الأذان .. ينطلق من المآذن .. في موعد الصلاة
*** * ***
وفي المساء .. يعود ذلك الجريح
ليرتمي بين أحضان داره القديمة
ليقبِّل يدَ تلك العجوز
وما زال ينزف ..!!
تضمِّد العجوزُ .. جراحَه الكثيرة
وتمسح الغبارَ .. عن جبهة سمراء
أصابها الوهن
من رحلة طويلة
خوفاً من الغيب!
*** * ***
يمسك يد تلك العجوز .. يقول
أماه .. أرضيتي عني ..؟!
تهمس .. أي بني، بلى ..
يُحدِّق في السماء
يبتسم بعد طول عبوس
وينطق الشهادة
.. يغوص في سبات
لن ينتهي .. ويُدفن الشهيد
مع بقية الشهداء
بجانب السور
إلى يوم الخلود
إلى الأبد ..!!
*** * ***

56- من الكِبر ..!

الكبر رد الحق .. واحتقار الخلق!

وله صور عدة بعضها أظهر وأصرح من بعض، منها: ردُّ الحق لكونه يأتي من صغير الشأن .. وضيع الجاه .. لا يؤبه له!

ومنها: عدم رد الفضل إلى أهله .. حتى لا يُقال قد استدل بصعلوك وضيع .. أو استفاد ممن هم دونه مرتبة ودرجة!

ومنها: عندما لا يُنصف المرءُ الحقَّ من نفسه، ومن حزبه، وشيخه .. فيرد قول الحق بقول الخلق!

ومنها: قبول الحق لكونه جاء من القنوات التي نهواها ونميل إليها .. ورده لكونه جاء من جهات لا نرتضيها ولا نميل إليها ..!

ومنها: الاستخفاف بالخلق .. والنظر إليهم باستعلاء وفوقية .. وأنهم دونه في كل شيء .. وأنهم عبارة عن حشرات وصراصير!

وأعرف من هؤلاء ـ من ظاهره أنه من الدعاة! ـ من يحمل قوله تعالى: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ على عباد الله ..!

ومنها: الأنَفَة عن القيام بالأعمال المشروعة .. لكونها أعمالاً وضيعة لا تليق به!

ومنها: الأنَفَة عن مجالسة المساكين والفقراء .. لكونهم من طبقة دون طبقته!

ومنها: التمنع عما ينفعه ويرغبه .. تكلّفاً وترفعاً .. رغم حاجته إليه!

فهذا كله من الكبر الذي يمقته الله تعالى .. ويُردي صاحبه في السخط والعذاب الأليم .. وربما يؤول به إلى الكفر وهو لا يدري.

عن عبد الله بن مسعود: أن رسول الله ﷺ قرأ سورة " النجم " فسجد فيها، وما بقي أحدٌ من القوم إلا سجد.

فأخذ رجل من القوم كفّاً من حصى أو تراب فرفعه إلى وجهه، وقال: يكفيني هذا!

قال عبد الله: فلقد رأيته بعد ذلك قُتل كافراً!

* * *

57- احفظ بصرك من أن يقع على سوء ..!

البصر بريد الظاهر إلى الباطن .. والنفق الذي تتسرب منه الصور وإيحاءاتها لتنطبع ـ بكل دلالاتها وأبعادها ـ في النفس، والقلب، والذهن .. فاحرص أن لا تنظر إلا إلى خير ..!

إن أردت أن تسلَم لك قوة فراستك وحافظتك .. فاحرص أن لا يقع بصرك على سوء!

إن أردت أن تحافظ على صفاء ذهنك وإيمانك .. واعتدال مزاجك وطبعك .. فاحرص أن لا يقع بصرك على سوء .. أي سوء!

كم من نظرة فاسدة ظل صاحبها أسيراً لها ولمعانيها القبيحة لساعات .. وربما لأيام .. لا يستطيع الفكاك من سلطانها وأثرها .. قد استحوذت عليه وعلى تفكيره، وذوقه، وعقله، ومشاعره .. من كل حدبٍ وصوب!!

لا يرى في نفسه إلا تلك الصورة التي رآها .. ولا يُفكر إلا بها .. ولا يتذوق إلا دلالاتها القبيحة الفاسدة .. بل ولا يشعر إلا بها!!

فلو أتبع مثل هذه النظرة .. نظرة أخرى .. ونظرة أخرى .. فمتى يقدر على أن يتذوق حلاوة الحق وجماله ..؟!

متى سيتحرر من ضغط تلك النظرات ليقوم بواجبه نحو دينه، وأمته، ونفسه .. وما أكثر تلك الواجبات!

تأمل لو فرشوا لك طعاماً شهياً على مائدة محاطة بالقاذورات .. وخراء الكلاب والخنازير وغيرهم من الدواب والهوام .. أترى لنفسك شهية في الطعام ..؟!

كلما مددت يدك إلى الطعام .. وقع بصرك على تلك القاذورات والصور القبيحة المحيطة بالمائدة .. فتتذكر تلك الدلالات الخبيثة التي توحيها إليك تلك الصور .. فتمسك عن الطعام ولا بد .. مهما كان بطنك طاوياً من الجوع!

وكذلك لو عُرضت عليك صور الحق والجمال .. وفي ذهنك قائمة طويلة عريضة من الصور القبيحة الفاسدة .. تقلبها وتعالجها في نفسك .. فإنك لا تقدر على تذوق جمال وفائدة صور الحق .. ولا أن تنتفع منها في شيء ..!

جاء في الحديث عن النبي أنه قال:" أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذُكر الله ".

لماذا إذا رُؤوا يُذكر الله ..؟!

لأن صورتهم تذكر بالعلم .. تذكر بالطاعة .. تُذكر بالعبادة .. تُذكر بالجهاد .. تُذكر بالاستقامة .. تُذكر بكل خصال وقيم الخير .. فيُذكر الله حينئذٍ ولا بد !

لذا فقد أثر عن بعض أهل العلم أن النظر إلى وجوه الصالحين المجاهدين عبادة .. لأنها تحمل صاحبها على الذكر والعبادة ..!

ثم إذا كان النظر إلى أولياء الله الصالحين .. عبادة .. ويُذكِّر بالله .. فإن مفهوم المخالفة يقتضي بأن يكون النظر إلى صور الظالمين المجرمين .. تُذكِّر بالشيطان .. تُذكر بالكـفر والشرك .. تذكر بالفجور والمجون .. بحسب حال الصورة المنظور إليها!

كم من وجه .. ترى عليه معالم الكفر والجور والفسوق .. يُذكرك بكل معاني القبح والفجور .. فتجد نفسك غير قادرٍ على إطالة النظر إليه ..!!

لذا فقد أُثرَ عن الإمام أحمد أنه كان إذا رأى مشركاً نصرانياً يغض الطرف عنه، ويقول: كيف أنظر إلى رجل يُكذب الله ورسوله، ويدعي أن له ولد ..؟!

فهو مجرد أن يراه يُذكره بهذا الكفر والشرك ..!

وكان الشافعي قد وقع بصره على كعب امرأة .. فتأثر حفظه .. فتمثل ذلك قائلاً:

شكوت إلى وكيعٍ سوءَ حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال العلم نورٌ ونورُ الله لا يُؤتاه عاصي

من هنا ـ ومن أجل جميع ما تقدم ـ قد نص الشارع على الأمر بغض البصر، فقال تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ .

* * *

58- احذروا الملغومين ..!

الذين يُجادلون عن طواغيت الحكم .. ويذودون عنهم واحد من اثنين:

إما أنه رجل مُغفَّل .. جهله مركب .. أعمى البصر والبصيرة .. لا يريد أن يفهم .. وقليل منهم من يُعذر..!

وإما أنه ملغوم مدسوس .. مدفوع ومدفوع له .. يُجادل عن الطواغيت .. متستراً ببعض الشيوخ .. مستعيناً على جداله ببعض النصوص والأقوال المبتورة .. ليظهر للآخرين بثوب طالب العلم .. وأنه يعتمد في جداله على نصوص الشرع .. وأقوال أهل العلم .. ليُشوش بذلك على الشباب دينهم وعقيدتهم .. والشرع وأهل العلم منه ومن تدليساته براء ..!

وكلا الصنفين .. لا تسمح هذه المرحلة العصيبة التي تمر بها الأمة .. أن نسمع لهم .. أو نقف عندهم كثيراً من الوقت .. نجادلهم ويُجادلوننا .. لأن الجدال لن يُجدي معهم نفعاً .. ولأن الوقوف عندهم طويلاً سيكون مكلفاً جداً لأصحاب الحركات الجادة في نصرة هذا الدين!

لذا فإني أنصح إخواني ناصح المشفق المحب .. أن لا يلتفتوا إلى القوم .. وأن لا يُكثروا من جدالهم .. وأن يُحافظوا على أوقاتهم فيما ينفع .. وأن يُحسنوا التمييز بين من يسأل ويبحث استرشاداً وطلباً للحق فيُقبلوا عليه .. وبين من يسأل فتنة .. وتجسساً .. وتفريقاً بين المسلمين .. فينبذوه ويتجاهلوه .. ليموتوا في غيظهم وحقدهم وجحورهم .. وإن كان كثير مما يقولونه لتهد له الجبال هداً .. يصعب الصبر عليه .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

*** * ***

59- خوارج على الدعاة .. مرجئة مع الطغاة !

نبتت نابتة سوء باسم السنة والسلف ـ والسنة والسلف منهم براء ـ لا هم خوارج على الإطلاق .. ولا هم مرجئة على الإطلاق .. وإنما هم مزيج من هذا وذاك!

فهم على الدعاة والمخالفين لهم من أهل القبلة والتوحيد خوارج .. شداد .. غلاظ .. لا يقبلون لهم العثرات .. ولا يعرفون لهم تأويلاً أو عذراً !!

لأدنى مخالفة ـ وأحياناً بلا مخالفة ـ أو خلاف ـ بحق وبغير حق ـ يرمون المخالفين لهم من أهل التوحيد .. بالتفسيق، والتضليل، والتبديع، وربما بالتكفير .. ولا يتورعون ـ في سبيل ذلك ـ أن يثيروا الشغب، والفتن، وتفريق الصف إلى صفوف .. والجماعة إلى جماعات ..

والحزب إلى أحزاب .. وهذا كله يتم باسم السلف والسلفية .. ومحاربة الحزبية!!

أما مع طواغيت الحكم والفجور .. فهم مرجئة .. رحماء .. أذلاء .. يقيلون عثراتهم .. بل وكفرياتهم إلى حد التكلف والتملق .. يتعاملون معهم كأولياء أمور تجب طاعتهم .. والدخول في موالاتهم ونصرتهم .. والتجسس لصالحهم على كل من يخالفهم أو يُعاديهم!!

يتوسعون لهم في التأويل في مواضع لا يصح فيها التأويل شرعاً ولا عقلاً ..!

يصورون سيئاتهم للناس على أنها حسنات .. وأن سيئاتهم مهما عظمت وتنوعت فهي لا تخرج عن كونها كفر دون كفر .. وعن كونها تحت المشيئة .. وهذا كله ـ خسئوا وكذبوا ـ كما قال ابن عباس!!

ألّفوا عشرات المصنفات المدعومة .. يُجادلون فيها عن الطواغيت الظالمين .. وعن كفرهم وباطلهم .. وبالمقابل يُشهِّرون فيها ـ بأقبح الأوصاف وعبارات التنفير ـ بعلماء التوحيد والسنة والجهاد .. الأحياء منهم والأموات!

يغضبون حيث يغضب السلطان .. ويرضون ويبشون حيث يرضى السلطان .. وفتاواهم تدور مع السلطان ومصلحة السلطان ـ وليس مع الحق ـ حيثما دار .. لذا تجدهم ـ دون غيرهم ـ من المقربين إلى العتبات .. والبلاط الملكي .. يُخصون بالعطاء والمنح والفُتات!

فهم بهذه الأوصاف مزيج غريب فريد ـ لم يعرفه التاريخ من قبل ـ جمعوا فيه بين أسوأ ما قيل في الخوارج الغلاة وأسوأ ما قيل في المرجئة الغلاة ..!

وهم ـ بحق ـ بلوة هذا العصر .. ليس لها من دون الله كاشفة .. قد تلبَّس أمرهم وضلالهم على كثير من الناس .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

*** * ***

60- مصيبة الأمة ..!

مصيبة الأمة ـ في كل زمان ومكان ـ في صنفين إن صلحا صلحت الأمة، وإن فسدا فسدت الأمة، ألا وهما: العلماء والحكام !

وفساد الحكام تبَعٌ لفساد العلماء إذ العلماء هم الأسبق في الفساد .. ولولا فسادهم أولاً لما تجرأ الحكام على الفساد!!

فلمَّا أمسك العلماء عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. على مستوى الفرد والجماعة .. والحاكم والمحكوم .. تجرأ الحكام على مقارفة المنكر ونشره وترويجه .. وعلى ترك المعروف والعمل به!

ولما اقتنع العلماء أن دورهم ينتهي عند عتبات المساجد؛ إذ دورهم مقصور على الوعظ والإرشاد وممارسة شعائر العبادة داخل المساجد .. تجرأ الحكام على فصل الدين عن الدولة .. وقصّموا الناس إلى قسمين: رجل سياسة لا دخل له في الدين .. ورجل دين لا دخل له في السياسة وشؤون الحكم!

ولما جبن العلماء ـ إلا من رحم الله ـ عن الصدع بالحق في وجوه الظالمين .. واقتصرت هممهم عند كيفية تحصيل لقمة العيش .. وتأمين حياة أكثر متاع ورفاهية .. تجرأ الحكام على اقتحام أبواب الظلم والطغيان .. إذ الرادع لهم عن ذلك هم في شغل فاكهين .. ومتاع زائل صدهم عن الاهتمام بالآخرين .. لا شيء يعنيهم مما يعاني منه العباد من ظلم الطواغيت!

ولمَّا استشرف العلماء ما في أيدي الحكام الظالمين من فتات ومال .. جعل الحكام يقتنعون أن هذا السحت الذي يأخذونه بالقوة من العباد عن طريق الضرائب وغيرها .. هو حق مشروع .. ولو كان غير ذلك لما أكل منه العلماء واستشرفوا له الأعناق!

ولمَّا تدافع العلماء على أبواب السلاطين .. يتنافسون فيما بينهم على مجالستهم وخطبِ ودهم .. ومتاعهم .. ومناصبهم .. جعل الحكام يستخفّون من قدر العلماء ومن دورهم الريادي الذي ينبغي أن يكون .. كما جعلهم أكثر اقتناعاً بأن حكمهم شرعي .. وأنهم على حق .. وأن ما سواهم على باطل!

فالعلماء بذلك يصبغون الشرعية على الطواغيت .. وعلى أنظمة حكمهم .. والطواغيت في المقابل يتكئون عليهم في الباطل .. وفي إقناع الشعوب بما هم عليه من نُظم وقوانين .. كلما اعترض

عليهم معترض قالوا له وللناس: نحن معنا العلماء .. معنا فلان وفلان .. فمن معك أنت؟!!

فكم من حركة جهادية جادة لم يُكتب لها النجاح بسبب تخلي العلماء عنها .. وخذلانهم للجهاد والمجاهدين .. ثم بعد ذلك يسألون المجاهدين على وجه الاعتراض والتهكم والشماتة: ماذا حققتم .. وماذا جلب جهادكم للعباد والبلاد غير الدمار ..؟!!

وفاتهم أنهم ـ بمواقفهم وخذلانهم للجهاد والمجاهدين ـ هم السبب الأكبر في حصول مثل هذه النتائج الغير مرضية ..!

أقول: لمّا رضي العلماء بذلك ـ إلا من رحم الله ـ وتخلوا عن دورهم الحقيقي في قيادة الأمة والشعوب .. فقدَ الناس القدوة والأسوة الحسنة التي يقتدون بها ويتأسون بأخلاقها وسلوكها .. فضلوا وتاهوا واتبعوا كل ناعق جاهل من ساسة الحكم الجاهلي .. أو دعاة العلمانية الكافرة!

وأصبح واقع فصل الدين عن السياسة والدولة والحياة .. واقعاً معايشاً ـ منذ نحو قرن بكامله! ـ ومن مسلمات هذا العصر التي لا تقبل النقاش عند كثير من الناس ..!

صدق ابن المبارك لما قال:

وهل أفسدَ الدينَ إلا الملوكُ ... وأحبارُ سُوءٍ ورُهبانُها

*** * ***

61ـ عقل ابن آدم في قلبه وليس في رأسه ..!

أنظرها ـ إن شاء الله ـ في الصفحة السابعة من قطوف وخواطر.

www.abubaseer.com